يدعون رسميا ، لا يريدون الابقاء على عرب المناطق تحت الاحتلال ، الى ما لا نهاية . فلماذا اذن ، وحتى في اطار تسوية سلمية شاملة ، لا يتركونهم وشأنهم ، يقررون مصيرهم بأنفسهم ؟ واذا كانت اسرائيل ستنسحب من الضفة الغربية ، في اطار تسوية شاملة فرضا ، فماذا يعنيها ان تقوم دولة فلسطينية هناك او لا تقوم ؟ ولماذا الاصرار على ألا مكان لاكثر من دولتين بين البحر والصحراء ؟ ولماذا التزمت حكومة رابين بالقرار الذي اتخذته في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٧٤ ، والذي ينص على التالي : « ستعمل الحكومة من اجل مفاوضات على اتفاق سلام مع الاردن . وسيرتكز السلام على أساس قيام دولتين مستقلتين فقط : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية اردنية ــ فلسطينية الى الشرق من اسرائيل ، في حدود تقر بالمفاوضات بين اسرائيل والاردن . وفي هذه الدولة يعبر عن الهوية المستقلة للاردنيين والفلسطينيين، من خلال سلام وعلاقات جوار جيدة مع اسرائيل » . (نشرة م. د. ف. مجلد ٤ ، عدد ١٥) .

وفي تقديرنا ، ان لهذا الاصرار الاسرائيلي سببين : احدهما يتعلق بالتصور الاسرائيلي للدولة اليهودية المستقبلة ، على الاقل للمستقبل المنظور ، وهو تصور يرتكز على منطلقات صهيونية تقليدية . والثاني يتعلق بالسياسة الاسرائيلية على المدى القصير ، وهي سياسة تمليها ، الى حد كبير ، اوضاع اسرائيل الداخلية .

للمدى البعيد

معلوم ان زعماء الحركة الصهيونية اعتبروا شرق الاردن داخلا في الرقعة الجغرافية التي منحتهم اياها الدول الامبريالية في وعد بلفور . وبذلك أصبح شرق الاردن في نظرهم جزءا من « الوطن القومي اليهودي » . الا ان التيار الرئيسي في الحركة الصهيونية ، ولاسباب تاريخية وموضوعية معروفة ، جمد مطالبته بالضفة الشرقية للاردن ، مع انه لم يعلن تنازله عنها . هذا في حين أن حزب حيروت ، ما زال الى يومنا هذا يرفع شعار « للاردن ضفتان » . وفي السنوات الاخيرة ، خاصة منذ حرب حزيران ، يلاحظ أن كلام زعماء اسرائيل عن أن شرق الاردن هو قسم من « فلسطين التاريخية » آخذ بالازدياد ، وليس أقله خطاب آلون الاخير في الامم المتحدة . وعلى ما يظهر ، فان القيادة الصهيونية ، التي في مراحل الاستيطان الاولى تجاهلت وجود الشعب الفلسطيني عامة واعتبرت « أرض اسرائيل » على جانبي الاردن مسرحا لنشاطها الاستيطاني ، أخذت مع الزمن ، وفي أعقاب المقاومة الفلسطينية للهجرة اليهودية ، تتبنى فكرة اقتسام « أرض اسرائيل » مع الفلسطينيين ، ولكن دون التصريح بذلك .

وكان طبيعيا أن ترى في شرق النهر الحصة العربية ، وفي غربه اليهودية . وخلال سني الاستيطان ، وفي أكثر من مرة ، حتى قبل قيام اسرائيل ، جرى كلام في مؤتمرات صهيونية عن « نقل » عرب فلسطين الى الضفة الشرقية . وليس أقل ذلك الكلام ما طرحه كاتسنلسون ــ أحد مؤسسي حزب العمل اليهودي وزعيمه لمدة طويلة ــ في الثلاثينات، والذي أثار ضجة بين أطراف اليسار الصهيوني وأوساط « عصبة السلام » في حينه . ولكن الظروف التي واكبت قيام دولة اسرائيل، والتي ليس هنا مجال بحثها ، لم تسمح للقيادة الصهيونية بتنفيذ مخططاتها كاملة . الا انه بعد قيام الدولة ، وفي أكثر من مناسبة ، صدر عن زعماء اسرائيل كلام بهذا المعنى ، ومن بينهم بن غوريون ، وغولدة مئير ، ورابين ذاته . وتحركات اسرائيل حول المشكلة الفلسطينية تدل على انها ما زالت تخطط لزج الشعب الفلسطيني في شرق الاردن ، بينما تستأثر هي في